

إثنوغرافيا السايبر: القضايا المنهجية والرهانات البحثية في البيئة الرقمية

Cyber ethnography: Methodological approaches and research challenges in the digital environment

د. آمال بدرين¹

bedrine.amel@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/28 تاريخ النشر: 2026/06/11

Received: 28/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص:

يهدف هذا المقال الى إبراز ميادين النقاش والخلاف والتجديد في المنهج الإثنوغرافي في الفضاء الرقمي والبحث في القضايا المنهجية التي يثيرها، وهذا بإخضاع عدد من الأبحاث والدراسات والمقالات حول هذا الموضوع للوصف والتحليل. توصلت الدراسة إلى حصر جملة من الإشكالات المتعلقة بمصداقية، الهويات الافتراضية وصعوبة التأكد من المعنى الفعلي للنصوص الساخرة أو الضمنية، يضاف إلى ذلك إشكالية "الفائض المعلوماتي" وخلصت النقاشات بين الباحثين في اثنوغرافيا السايبر حول كيفية تجاوز صعوبات تطبيق هذا الأخير في بحوث الميديا الرقمية الى ضرورة توظيف البيانات على الخط وتدعيمها ببيانات أخرى عبر الاستعانة بـ "تثليث البيانات" Data Triangulation لضمان موضوعية النتائج.

الكلمات المفتاحية: اثنوغرافيا السايبر، دراسات الميديا الجديدة، الفضاء الرقمي.

Abstract :

This article aims to highlight the areas of debate, controversy, and innovation within the ethnographic approach in the digital space, and to explore the methodological issues it raises. This is achieved by describing and analyzing a number of research papers, studies, and articles on this topic.

The study identified several problems related to the credibility of virtual identities and the difficulty of ascertaining the actual meaning of satirical or implicit texts. It also addressed the issue of "information overload." Discussions among cyber ethnographers regarding how to overcome the difficulties of applying this approach in digital media research concluded that it is necessary to utilize online data and supplement it with other data through data triangulation to ensure the objectivity of the results.

Keywords: Cyber ethnography, new media studies, digital space

مقدمة:

يعتبر المنهج الإثنوغرافي قديماً في العلوم الاجتماعية من ناحية الظهور والاستخدام، إلا أنه أدرج مؤخراً في دراسة الميديا الرقمية، لاسيما دراسات الجمهور الرقمي لتدارك العجز المنهجي في البيئة الرقمية، وهو منهج بحث ينطلق من مبدأ الاعتراف بالتمايز الاجتماعي القائم على اعتبارات متنوعة منها الأعراف والتقاليد كما يركز على دور المجموعات الإثنية المحلية وغيرها من التفرعات العرقية. وبالرغم من وصف هذا المنهج بالبراغماتي بالدرجة الأولى، لكونه يأخذ بعين الاعتبار المصادر المتوفرة والمعطيات المستهدفة من البحث، إلا أن الحاجة إلى إعادة التفكير في منهج علمي مناسب لدراسة تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال واستخداماتها في المجتمعات الافتراضية أدى إلى اللجوء إلى المنهج الإثنوغرافي كحل لتقديم رؤية حديثة تركز على التفاعل interactivity عبر المواقع الإلكترونية. ورغم ذلك يواجه الباحثون العديد من الصعوبات في تطبيق أدواته البحثية مما يثير الكثير من نقاط الجدل والنقاش العلمي. وهو ما تتمحور حوله إشكالية الفجوة المنهجية التي تظهر عند نقل أدوات الإثنوغرافيا التقليدية إلى البيئة الرقمية، والتي يطلق عليها مصطلح "إثنوغرافيا السايبر" Cyber Ethnography لتمييز الدراسات في الفضاء الافتراضي عن الدراسات التي تتم في الفضاء العام.

1. الإشكالية والتساؤلات:

تهدف إثنوغرافيا السايبر إلى فهم المعاني التي يضيفها الفاعلون على سلوكياتهم الرقمية، إلا أن الباحث يواجه تحديات تتعلق بمصادقية الهويات الافتراضية، وصعوبة التأكد من المعنى الفعلي للنصوص الساخرة أو الضمنية في ظل غياب التفاعل المباشر Face to face ، يضاف إلى ذلك إشكالية "الفائض المعلوماتي" الذي يجعل التحليل الكيفي للمجتمعات الرقمية تحدياً يتطلب استراتيجيات منهجية مركبة مثل "تثليث البيانات" Data Triangulation لضمان موضوعية النتائج.

وبناء عليه، نطمح في مقالنا إلى دراسة التساؤل الرئيسي التالي:

ما هي التحديات الأبنستمولوجيا والمنهجية التي تواجه الباحث عند تطبيق منهج إثنوغرافيا السايبر في البيئات الافتراضية؟

وللاجابة عليه ، تم ادراج التساؤلات الفرعية التالية:

- ✓ إلى أي مدى يمكن اعتبار "الحضور الرقمي" وتفاعل الباحث عبر الشاشة بديلاً مكافئاً "للمعايشة الميدانية" التقليدية؟
- ✓ كيف يساهم "تثليث البيانات" (بين الملاحظة الرقمية، المقابلات، وتحليل المضمون) في رفع مصداقية البحث الإثنوغرافي وتجاوز نقص البيانات "على الخط"؟
- ✓ ما هي الحدود الفاصلة بين العام والخاص في الفضاء السيبراني، وكيف تؤثر الضوابط الأخلاقية على حرية الباحث في المراقبة والتحليل؟

2. المنهج:

انطلاقاً من أن هذا المقال يهدف إلى استخلاص الإشكالات المنهجية في تطبيق منهج إثنوغرافيا السايبر فإننا اخترنا تقديم مراجعة منهجية Systematic Review لتحقيق الهدف، من خلال جمع ثم تحليل ثم مقارنة مجموعة من الدراسات والأدبيات والأبحاث التي تناولت استعمالات ورهانات وأفاق تطبيق منهج إثنوغرافيا السايبر في الميديا الجديدة. وتم اختيار عينة قصدية من

الأعمال المرجعية التي أسهمت في تأصيل المنهج إثنوغرافيا السايبر وتطوير أدواته من بينها: دراسة Arturo Escobar الموسومة بـ "Welcome to Cyberia"، ودراسة Daniel Miller و Don Slater بعنوان "The Internet: An Ethnographic Approach"، ودراسة Dhiraj Murthy حول الإثنوغرافيا الرقمية، إضافة إلى دراسة-Beneito Montagut المعنونة بـ "Ethnography Goes Online" وهي دراسات تناولت تطبيق المنهج في البيئة الرقمية والاشكالات المنهجية المتعددة التي يواجهها الباحثون عند التعامل مع المجتمعات الافتراضية.

3. مفهوم المنهج الإثنوغرافي وأدواته:

يرتبط هذا المنهج بأعمال برونيسلاف مالينوفسكي Bronislaw Malinowski الذي يعد من مؤسسي المنهج الإثنوغرافي في الأنثروبولوجيا حيث قدم دراسات ميدانية شهيرة في جزر تروبريانند Trobriand، نشرت نتائجها في كتاب تحت عنوان "مجتمع الأجوتس في جنوبي المحيط الهادي" *Argonauts of the Western Pacific* (Malinowski, 1922) وكتاب "السحر في جزر حدائق المرجان" *Coral Gardens And Their Magic*، وقد استند في كتاباته إلى ملاحظات تفصيلية ومطولة اعتمد فيها على اللغة المحلية والإقامة لمدة طويلة في الجماعة التي يقوم بدراستها وتتبع الظاهر الثقافية ذات الاتصال الوظيفي (محمد عبده محجبون و حيي مرسى عيد بدر، 2005، صفحة 09) أما في فرنسا فقد نشر Marcel Mauss العديد من المقالات العلمية والأبحاث حول الدلالة الاجتماعية للهبة في المجتمعات القبلية، والسحر كظاهرة دينية، وقد تأثر في منهجية بحثه بمالينوفسكي ويظهر ذلك من خلال تطبيق الإثنوغرافيا كمنهج لأغلب دراساته فهو يعتبر أهم رواد الإثنوغرافيا في فرنسا (Dictionnaire Larousse, s.d.). كما نشر الباحث الفرنسي Marcel Griaule كتابا بعنوان *Méthode de l'ethnographie* سنة 1957، تناول فيه الأسس المنهجية للعمل الإثنوغرافي وأساليب جمع المعطيات الميدانية. وفي المقابل، ساد في الولايات المتحدة الأمريكية اتجاه يرى أن الإثنوغرافيا تتمثل أساسا في جمع البيانات والمعلومات الميدانية حول الثقافات والمجتمعات، في حين تتكفل الأنثروبولوجيا بتحليل هذه المعطيات وتفسيرها في إطار نظري أوسع.

يقصد بالمنهج الإثنوغرافي أسلوب البحث الذي يعتمد على الاحتكاك الميداني للباحث مع مجتمع الدراسة، ويعرفه هامرسلي وأتكينسون (Hammersley & Atkinson) على أنه منهج بحث إجتماعي يتميز بالإنخراط العميق للباحث علنا أو خفية في حياة الناس لفترة من الزمن، يراقب ما يحدث ويسمع ما يقال، ويسأل الأسئلة ويجمع ما يمكن من بيانات بهدف تسليط الضوء على قضايا محورية في المجتمع (HAMMERSLEY & ATKINSON, 2007, p. 19).

حيث يتسم البحث الإثنوغرافي بطبيعته الاستكشافية التي تقوم على الإنفتاح المنهجي والمرونة في التعامل مع الواقع الميداني، إذ لا يعتمد بالضرورة على فرضيات صارمة أو أسئلة بحث محددة منذ البداية (HAMMERSLEY & ATKINSON, 2007, p. 21). وقد يخلق هذا الوضع لدى بعض الباحثين شعورا بعدم الارتياح في المراحل الأولى من الدراسة بسبب غياب إطار تساؤلي واضح غير أن هذه السمة تعد جزءا لا يتجزأ من طبيعة المنهج الإثنوغرافي، حيث تبلور أسئلة البحث تدريجيا من خلال

الاحتكاك المباشر بالميدان وملاحظة التفاعلات الاجتماعية داخله. وغالبا ما يعيد الباحث صياغة اهتماماته البحثية أثناء العمل الميداني، متخليا عن بعض التصورات المسبقة التي دخل بها إلى الميدان، ومستبدلا إياها بأسئلة وأفكار جديدة نابعة من ميدان الدراسة، فمن حيث المنهجية يقتضي البحث الإثنوغرافي قيام الباحث بمعايشة حياة المبحوثين ويوميائهم (قسايسية، المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي-دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر، 2007) وهو ما يمنح البحث الإثنوغرافي طابعا تفسيريا ديناميكيا يهدف إلى فهم المعاني التي ينتجها الفاعلون الاجتماعيون في سياقاتهم الطبيعية.

أي أنه بحث اجتماعي يتميز بالانخراط العميق للباحث في حياة الناس لفترة من الزمن (قسايسية، المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي-دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر، 2007)، يراقب ما يحدث ويسمع ما يقال، يسأل الأسئلة ويجمع ما يمكن من البيانات بهدف تسليط الضوء على الإشكالية المحورية في البحث، فيقوم خلالها بجمع مكثف للبيانات عن العديد من المؤشرات خلال فترات زمنية محددة مسبقا وفي وضع طبيعي، أثناء حدوث الظاهرة محل البحث دون إحداث أي تعديل عليها.

أما ظهور الدراسات الإثنوغرافية في مجال الإعلام والاتصال فقد ارتبط بتطور الدراسات الثقافية في بريطانيا، خاصة في إطار Centre for Contemporary Cultural Studies (CCCS) الذي تأسس بجامعة برمنغهام عام 1964م (Habib, 2020) وأسهم في تطوير مقاربات نقدية لدراسة وسائل الإعلام. وقد عمل هذا الاتجاه على إعادة النظر في طبيعة عمل وسائل الإعلام وعلاقتها بالثقافة والسلطة، كما وجه إنتقادات حادة للهيمنة التي مارسها المناهج الكمية التقليدية في دراسات الاتصال. وفي هذا السياق بدأ الباحثون في توظيف المنهج الإثنوغرافي لفهم الممارسات الإعلامية والاتصالية في سياقها الاجتماعي والثقافي، متأثرين كذلك بالفكر النقدي الذي طوره مفكرو Frankfurt School. وقد سمح هذا التوجه بالانتقال من دراسة الرسائل الإعلامية فقط إلى دراسة كيفية استقبال الجمهور للوسائل الإعلامية وتفاعله معها في الحياة اليومية (HORST, 2015, p. 86)

وتظهر أهمية البحوث الإثنوغرافية الإعلامية في اهتمامها بالسياق الذي تتواجد فيه تكنولوجيات الإعلام والاتصال على خلاف البحوث الامبريقية التي اهتمت بالنتائج الكمية والعناصر الإحصائية، دون مراعاة للسياقات الاجتماعية المتخلفة التي تحدث فيها عمليات الاتصال بأنواعها المختلفة.

4. ماهية اثنوغرافيا السايبر وخصوصيات الفضاء الرقمي:

نتيجة للاهتمام المتزايد بدراسة الظواهر الاجتماعية في البيئات الرقمية، ظهرت عدة تسميات للإثنوغرافيا المرتبطة بالإنترنت. ومن أبرز هذه المصطلحات:

إثنوغرافيا العوالم الافتراضية (Tom & all, 2012) Ethnography of Virtual Worlds، الإثنوغرافيا الموسعة Expanded Ethnography (Beneito-Montagut, 2011)، الإثنوغرافيا الرقمية Digital Ethnography (Dhiraj, 2008)، الإثنوغرافيا على الإنترنت (Daniel & Internet Ethnography)

(Don, 2001)، الإثنوغرافيا الافتراضية (Hine, 2000) Virtual Ethnography، إضافة إلى إثنوغرافيا السايبر (Arturo, 1994) Cyber Ethnography الذي يعتبر المصطلح الأقدم والأكثر شيوعاً. وتعكس هذه التعددية الاصطلاحية محاولات الباحثين تكييف المنهج الإثنوغرافي مع طبيعة الفضاءات الرقمية والتفاعلات التي تتم عبر الإنترنت، مما يجعل هذا المنهج أكثر مرونة وقدرة على مواكبة التحولات المتسارعة التي تشهدها البيئة الرقمية (Caliandro, 2017). كما تشير إلى طرق البحث عبر الإنترنت، والتي تعتمد على أساليب البحث الإثنوغرافي لدراسة المجتمعات التي تم إنشاؤها عبر الفضاء الرقمي. إذ تعد وسيلة فعالة تستهدف وحدة التحليل فيها الأفراد أو الجماعات، وتهتم بجميع البيانات الكمية والكيفية. فالباحث الإثنوغرافي يقوم بدراسة جمهور الإنترنت أو جمهور شبكات التواصل الاجتماعي بمعايشتهم لفترة من الزمن، وهذا بهدف توضيح أنماط وكميات استخدام الأفراد وكذا تفاعلهم عبر الشبكات الاجتماعية، وكذا تفسير سلوكياتهم والمعتقدات والاتجاهات والتمثيلات الثقافية والدوافع الخاصة بالأفراد وكذلك التأويلات والتفسيرات المختلفة التي يقدمها الأفراد. ومنه يمكن التأكيد على ضوء ما توصلت إليه أبحاث الجمهور الحديثة، أن منهج إثنوغرافي السايبر رغم أنه براغماتي بدرجة أولى (يأخذ بعين الاعتبار فقط المصادر المتوفرة والمعطيات المستهدفة من البحث)، يبقى أنسب مقارنة تسمح بالدخول إلى عوالم المستخدمين user وسياقاتها في إطار تلقي الرسائل الإعلامية كفعل فردي وإجمالي ووصف أفعالهم وإشاراتهم في علاقتها مع استعمال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال. فالمقرب الإثنوغرافي يركز على فهم السلوك في سياق اجتماعي عبر مشاركة الباحث في الوضعية المدروسة مشاركة فاعلة ضمن الفريق موضوع الدراسة. كما يوفر المقرب الإثنوغرافي تقريراً وصفيّاً، مستعملاً مجموعة من الأدوات المنهجية في مقدمتها، المقابلات الودية غير الرسمية، والملاحظة بالمشاركة (قسايسية، نحوآفاق إثنوغرافية في دراسات الجمهور في الجزائر، 2025)

5. "الحضور الرقمي" للباحث عبر الشاشة وإعادة بناء سياق التفاعل عبر الخط

إن المفهوم الكلاسيكي للإثنوغرافيا يقوم أساساً على معايشة الباحث لمجتمع الدراسة والقيام بالملاحظة المباشرة، حيث ينخرط الباحث في الحياة اليومية للمبحوثين داخل سياقهم الاجتماعي الطبيعي وهو أحد المبادئ الأساسية التي طورتها مدرسة شيكاغو Chicago School of Sociology. في المقابل، وفي حالة إثنوغرافيا السايبر، يتغير مجتمع الدراسة، إذ يتم جمع البيانات في الغالب عبر الإنترنت من خلال متابعة التفاعلات الرقمية داخل منتديات النقاش، ومنصات التواصل الاجتماعي، والمجتمعات الافتراضية. وبالتالي فإن البيانات لا تجمع من خلال مشاركة حياتهم اليومية في فضاء مادي مشترك، بل عبر تتبع الممارسات والخطابات الرقمية التي ينتجها المستخدمون في الفضاء الإلكتروني. ومن هذا المنطلق، فإن إثنوغرافيا السايبر لا تلغي المنهج الإثنوغرافي، بل تعيد صياغة مفهوم مجتمع البحث بحيث ينتقل من المجال الجغرافي إلى المجال الافتراضي، حيث يصبح الفضاء الرقمي نفسه ميداناً للبحث الاجتماعي يدرس من خلاله أشكال التفاعل والهويات والثقافات الرقمية التي تتشكل داخل الشبكات الإلكترونية.

وهو ما يحيلنا الى السؤال التالي: هل اثنوغرافي السايبر مشروطة بالحضور الفيزيائي للباحث في وسط المبحوثين أم هذا الأمر أصبح غير مطلوب في البيئة الرقمية؟

في هذا السياق، يرى Mark Poster أن الحدود بين المجتمع الواقعي والافتراضي أصبحت هشة جدا ويصعب تحديد معالمها حيث أصبح الفرد قادرا على التفاعل عبر المنصات الرقمية وإحداث الأثر دون اللجوء الى الحيز المكاني مستحدثا بذلك فضاء افتراضيا قائما بذاته يتوفر على جميع خصائص المجال العام.

إثنوغرافيا السايبر لا تشترط الحضور الفيزيائي، بل يمكن أن تعتمد على تحليل التفاعلات عبر الخط والملاحظة الافتراضية Virtual Participant Observation

وعليه هل يمكن الحديث عن دراسة الثقافات عبر الخط بواسطة اثنوغرافيا السايبر؟

من منطلق علمي، تدرس الإثنوغرافيا رموز ومعاني وممارسات الافراد في البيئة الواقعية وهي مستقاة من ملاحظات مباشرة للباحث، الا ان هذا لا يغير من طابعها غير الملموس، الثقافة ليست مادية بالضرورة ومنه يتضح لنا ان الثقافات الرقمية ليست "أقل واقعية"، بل هي ثقافات وسيطية Mediated cultures تُبنى عبر اللغة، الصور، والتفاعل وتشكل نسق من المعاني والرموز والممارسات وعليه، فإن دراسة الثقافات عبر الخط لا تقل مشروعية عن دراستها في سياقاتها التقليدية. غير أن هذا التحول يطرح تساؤلا حول مدى فهم المجتمعات الافتراضية من خلال دراسة وملاحظة محتويات المدونات والمنتديات والمواقع الالكترونية، الخ؟ هذا السؤال يطرح اشكال حقيقي في الدراسات الحديثة، حيث أن هنالك إتجاه يرى أن الفهم الكامل يتطلب الربط بين الحياة الواقعية (offline) والممارسات الرقمية (online) من خلال مقارنة تكاملية (Hybrid Ethnography). في حين يرى إتجاه اخر أن الفضاء الرقمي مستقل نسبيا ويمكن تحليله كعالم قائم بذاته.

في هذا الإطار، تكشف دراسة Peggy Treseder حول مواقع "pro-ana"²، أن التفاعلات عبر الخط يمكن أن تُنتج أنماطاً ثقافية فرعية قائمة بذاتها، تتجلى في بناء هويات جماعية ولغة مشتركة وقيم رمزية خاصة، بما يؤكد أن ما يحدث داخل هذه الفضاءات ليس مجرد تفاعل عابر، بل هو سيرورة ثقافية-إجتماعية مركبة يمكن مقارنتها إثنوغرافياً ضمن منظور جديد يتجاوز ثنائية الواقعي offline/ الافتراضي on ligne نحو فهم أكثر ديناميكية للمجتمعات الرقمية.

إلا أن مصداقية البيانات في البيئة الرقمية تحظى بالحذر الكبير من الإثنوغرافيين باعتبار أن مؤلفو هذه المشاركات غير معروفين للباحث، فقد يصرحون عكس ما يعتقدون. حيث تطرح البيانات المستقاة من الإنترنت إشكالا منهجيا في إثنوغرافيا السايبر، حيث يجد الباحث نفسه بين خيارين:

— إما توسيع المعطيات عبر التفاعل مع المشاركين وجمع معلومات سياقية عنهم رغم غياب المعاشية المباشرة

— أو الاكتفاء بتحليل المحتوى الرقمي والخطاب لفهم كيفية بناء الثقافة داخل هذه الفضاءات.

وبعكس هذا الاختيار توترًا بين مقارنة تربط بين الواقعي والافتراضي، وأخرى تركز على استقلالية العالم الرقمي، بما ينسجم مع طرح Mark Poster حول مركزية الخطاب في تشكيل الواقع الرقمي.

² مواقع "pro-ana" (اختصار pro-anorexia) هو موقع الكتروني على الإنترنت يروج لاضطراب فقدان الشهية العصبي وكأنه "أسلوب حياة" وليس مرضًا خطيرًا

6. اثنوغرافيا السايبر: "تثليث البيانات" (الملاحظة الرقمية، المقابلات، وتحليل المضمون)

يرتكز التوجه في إثنوغرافيا السايبر على هدف أساسي يتمثل في فهم ديناميكيات الجماعات المدروسة وتفسير تطورها وردود الفعل الاجتماعية تجاهها، ويتطلب ذلك معاملة جميع الفاعلين بوصفهم أطرافا إجتماعية متكافئة، دون تبني مواقف داعمة أو معارضة، بما يسمح بالكشف عن تعقيد العمليات الاجتماعية والنفسية الكامنة. كما لا يعني هذا الحياد انزال الباحث عن المؤسسات أو السياقات المحيطة، بل يستدعي انفتاحا معرفيا وميدانيا قائما على الملاحظة بالمشاركة، مع وعي نقدي بخلفيته الثقافية وتأثيرها على البحث. وفي هذا الإطار، لا يُفهم إدراك مواقف الأفراد باعتباره تبنيًا لها، بل بوصفه مدخلا لتحليلها وتقييمها، مما يفرض على الباحث الفصل بين الفهم والتأييد، وتجنب تحويل خطاب المبحوثين إلى حقيقة مطلقة دون مساءلة علمية.

و تثير مسألة استخدام المقابلة في الإثنوغرافيا الرقمية نقاشا منهجيا واسعا، خاصة حول مدى مشروعيتها كمصدر للمعرفة. فبينما تُعد أداة مركزية في البحث الكيفي، يُشكك في قدرتها على نقل الواقع بدقة، باعتبار أن ما يُقال خلالها هو بناء اجتماعي مرتبط بسياق التفاعل وليس انعكاسا مباشرا للسلوك الفعلي.

وقد تبلورت ثلاثة اتجاهات نقدية: الأول يرفض معطيات المقابلة لكونها غير مباشرة، والثاني يشكك في قدرتها على الكشف عن المعرفة الداخلية للأفراد، والثالث يتبنى شكاً إبستمولوجيا في علاقة السرد بالحقيقة.

ورغم ذلك، لا يتم استبعاد المقابلة كليا، بل يُعاد توظيفها ضمن مقاربة "تثليث البيانات" التي تجمع بين الملاحظة الرقمية، المقابلات، وتحليل المضمون، بما يسمح بفهم أكثر تكاملا للظواهر الرقمية مع الحفاظ على روح الإثنوغرافيا القائمة على تفسير المعاني في سياقها.

7. الحدود الفاصلة بين العام والخاص في الفضاء السايبراني:

إنطلاقا مما سبق، يتضح لنا بأن الإثنوغرافيا الافتراضية هي تطور منهجي للإثنوغرافيا التقليدية، فرضه التطور التكنولوجي الذي أدى إلى ظهور المجتمعات الافتراضية، فكل المنهجان يركزان على السلوكيات والمعاني التي يضيفها الفاعلون في العملية الاتصالية، التفاعلية على تصرفاتهم ومن ناحية أخرى ينطلقان من منهجية استقرائية يحاول بناء نظرية من البيانات المستقاة من السياق. إلا أن المنهجان يختلفان في نقطة واحدة تتمثل في صعوبة الولوج إلى السياق في البيئة الافتراضية، مع ذلك فإن إثنوغرافيا السايبر لها عديد الميزات المختلفة أهمها توفر أدوات جمع البيانات من منتديات النقاش وتتبع التفاعل دون أن يلاحظ المستخدم user ذلك.

إلا أن الفائض في المعلومات وصعوبة ولوج لبعض المنافذ ما يجعل الباحث مجبرا على الثقة في اجابات المبحوثين ما يجعل من الصعب الوصول المعنى الفعلي للنصوص يشكل الجانب السلبي لمنهج اثنوغرافيا السايبر

في ظل هذه الصعوبات التي تواجه المنهج اثنوغرافيا السايبر فان الباحثين (DUMEZ, 2008, pp. 39-43) يوصون باتباع الخطوات التالية: عدم الاكتفاء بالبيانات على الخط حيث يمكن بالباحث اجراء مقابلات رسمية او غير رسمية، مشاهدة المدونات، الكتب والمكتوبة من المبحوثين ، طريقة جلاسر وشتراوس، المعروفة ب النظرية المجذرة (Grounded Theory)، هي

منهجية بحثية تهدف لبناء نظريات علمية من واقع البيانات الميدانية مباشرة، وليس من فروض مسبقة، يجب أيضا التوازن بين التحليل الكمي والتحليل النوعي.

أما دور الباحث فهو ليس مختلف عن دور الاثنوغرافي التقليدي حيث يمكن أن يكون مشارك، مراقب مشارك، أو مراقب فقط (DUMEZ, 2008, pp. 39-43) فإنغماس الباحث هو أمر ضروري لا مفر منه، فالسلوكيات الافتراضية لا تشكل كمنعنى الا بواسطة المشاركة والتفاعل في الاتصال وتبادل الرسائل والرد عبر الشاشة ولا يمكن الاكتفاء بتسجيل الملاحظات في دفتر في الركن وحده التفاعل في المحيط الافتراضي ينتج ظواهر حقيقية وإعطاء شعور بوجود العالم (Berry, 2012) يبقى إن مسألة تحليل مناقشات المبحوثين عبر الانترنت دون سابق إنذار يطرح مسألة اخلاقية متعلقة بطلب الإذن للمراقبة والتحليل وهل تعتبر هذه المواد عامة او خاصة؟ (LAPLANTINE, 2012, pp. 128-129)

خاتمة:

إن جوهر التوتر في اثنوغرافيا السايبر هو محاولة فهم وجهات نظر وتوقعات المبحوثين من الداخل و أيضا القدرة على رؤية المبحوثين وتصرفاتهم بطريقة أكثر قربا، الا أن بعض التطورات الحديثة التي لحقت العمل الإثنوغرافي كالعديد من المفاهيم المنهجية الأخرى المثيرة للجدل قد ساهمت في التخفيف من هذا التوتر.

يمكن إعادة تقييم حدود وإمكانات إثنوغرافيا السايبر في دراسة المجتمعات الرقمية انطلاقاً من الأسئلة البحثية المطروحة: فيما يتعلق بالسؤال الأول حول مدى اعتبار "الحضور الرقمي" بديلاً مكافئاً للمعيشة الميدانية، يتضح أن هذا الطرح يظل مبالغاً فيه من الناحية المنهجية، إذ لا يوفر التفاعل عبر الشاشة نفس العمق التأويلي الذي تتيحه المعيشة المباشرة. فالحضور الرقمي، رغم أهميته في تتبع التفاعلات والخطابات، يبقى محدوداً في قدرته على إدراك السياقات الضمنية والإشارات غير اللفظية، مما يجعله كملاً لا بديلاً عن الحضور الحقيقي.

أما بخصوص السؤال الثاني المرتبط بدور "تثليث البيانات" في تعزيز مصداقية البحث، فيمكن اعتباره أحد الحلول المنهجية الأكثر فاعلية وواقعية من حيث التطبيق لتجاوز نقائص البيانات الرقمية. غير أن فعاليتها تظل مشروطة بكيفية توظيفه، إذ لا يكفي الجمع بين أدوات متعددة، بل يجب أن يتم ذلك ضمن تصور تكاملي يربط بين المعطيات الرقمية والميدانية، بما يسمح بإنتاج معرفة أكثر اتساقاً وعمقاً. وعليه، فإن تثليث البيانات لا يمثل مجرد تقنية إجرائية، بل يعكس توجهاً إبستمولوجياً نحو بناء فهم مركب للظواهر الرقمية.

وفيما يتعلق بالسؤال الثالث حول الحدود بين العام والخاص في الفضاء السيبراني، يتضح أن هذه الحدود أصبحت أكثر تعقيداً، مما يفرض على الباحث إعادة التفكير في الضوابط الأخلاقية للبحث الإثنوغرافي. فاعتبار المحتوى الرقمي متاحاً لا يعني بالضرورة مشروعية استخدامه دون وعي بسياق إنتاجه أو توقعات المستخدمين للخصوصية، وهو ما يستدعي تبني مقاربة أخلاقية حذرة تراعي خصوصيات البيئة الرقمية.

بناءً على ذلك، يتبنى هذا المقال موقفاً نقدياً مفاده أن إثنوغرافيا السايبر، رغم أهميتها، لا يمكن أن تُمارس بمعزل عن امتداداتها الواقعية، ولا يمكن اختزالها في تحليل التفاعلات "على الخط" فقط بل إن المقاربة الأكثر صرامة علمياً هي تلك التي تعتمد على التكامل بين الأبعاد الرقمية والميدانية ضمن إطار الإثنوغرافيا الهجينة، بما يسمح بتجاوز الثنائيات التقليدية بين الواقعي والافتراضي، وتعزيز صلاحية النتائج البحثية.

وعليه، فإن تطوير إثنوغرافيا السايبر لا يكمن في استبدال أدوات الإثنوغرافيا التقليدية، بل في إعادة توظيفها وتكييفها بما يتلاءم مع طبيعة البيئة الرقمية، مع الحفاظ على جوهرها القائم على الفهم العميق للسياقات الاجتماعية.

قائمة المراجع:

- رزيقة . ح. (2018). المنهج الإثنوغرافي واستخداماته في علوم الاعلام والاتصال. مجلة العلوم القانونية والاجتماعية, 3(4), 269-284. استرجع في من <https://asjp.cerist.dz/en/article/78684>
- قسايسية ع. . (2007). المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي-دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر (أطروحة دكتوراة). جامعة الجزائر 3, الجزائر.
- قسايسية ع. . نحو آفاق إثنوغرافية في دراسات الجمهور في الجزائر. استرجع في 25 مايو، 2025، من <https://alik.over-blog.org/article-50486232.html>
- عبد محجبون م. . & مرسى عيد بدر ح. (2005). التراث الشعبي العربي - دراسات حقيقية في مصر وليبيا. مصر: دار الثقافة المصرية.
- مريم . د. (2017). المقاربة الإثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها وتقنياتها، وعلاقتها بدراسات الجمهور. تاريخ العلوم, 4(8), 31-43. استرجع في من <https://asjp.cerist.dz/en/article/24094>
- يوجمعة ر. (2007). أشكال الاتصال التقليدي في منطقة القبائل (أطروحة دكتوراة). جامعة الجزائر, الجزائر.
- ARTURO, E. (1994). Welcome to Cyberia. *Current Anthropology*, 35(3), 31-211.
- BENEITO-MONTAGUT, R. (2011). Ethnography Goes Online: Towards a User-Centered Methodology to Research Interpersonal Communication on the Internet. *Qualitative Research*, 11(6), 35-716.
- BERRY, V. . (2012). Ethnographie sur Internet : rendre compte du « virtuel ». *Les Sciences De l'éducation - Pour l'Ère Nouvelle*, 45(4), 35-58.
- CALIANDRO, A. . (2017). Digital Methods for Ethnography: Analytical Concepts for Ethnographers Exploring Social Media Environments. *Journal of Contemporary Ethnography*, 45(5), 01-28. <https://doi.org/https://doi.org/10.1177/0891241617702960>
- MILLER, D., & SLATER, D. (2000). *The Internet: An Ethnographic Approach*. Oxford: Berg Publishers.
- DHIRAJ, M. (2008). Digital Ethnography: An Examination of the Use of New Technologies for Social Research. *Sociology*, 42(5), 55-837. <https://doi.org/https://doi.org/10.1177/0038038508094565>
- Dictionnaire Larousse, . Encyclopédie [personnage] Marcel Mauss. من 15 مايو، 2025، https://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Marcel_Mauss/132385
- DUMEZ, H. (2008). *L'ethnographie virtuelle : reconstituer le contexte des interactions en ligne*. Le séminaire AEGIS, Institut Polytechnique de Paris - CNRS - Centre National de la Recherche Scientifique. استرجع <https://hal.science/hal-00408365v1/document>
- SADIA, H. (2020). Centre for Contemporary Cultural Studies. *The SAGE International Encyclopedia of Mass Media and Society*. <https://doi.org/https://doi.org/10.4135/9781483375519.n115>
- HAMMERSLEY, M., & ATKINSON, P. . (2007). *Ethnography: Principles in Practice* (ط 4). London: Routledge.
- HINE, C. (2000). *Virtual Ethnography*. London: SAGE Publications.
- HORST, H., HIJORTH, L., & TACCHI, J. A. (2012). Rethinking ethnography: an introduction. *Media International Australia*, 145(1), 86-93. <https://doi.org/https://doi.org/10.1177/1329878X1214500110>
- LAPLANTINE, F. (2012). Anthropologie et numérique: Questions Épistémologiques et éthiques. *Journal Des Anthropologues*, 301-323. <https://doi.org/https://doi.org/10.4000/jda.5955>
- MALINOWSKI, B. . (2005). *Argonauts of the Western Pacific*. . London: Routledge & Kegan Paul.
- BOELLSTOFF, T., NARDI, B., & PEARCE, C. (2012). *Ethnography and Virtual Worlds*. Oxford: Princeton University Press.
- MILLER, V. (2008). New Media, Networking and Phatic Culture. *The International Journal of Research into New Media Technologies*, 14(4), 387-400. <https://doi.org/https://doi.org/10.1177/1354856508094659>